


ليلة في جهنم

الرصد

info@darak-eg.com 

02 24832669-010 27251915 

51 ب شارع الزهة - من امتداد رمسيس - القاهرة.

جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر.



ليلة في جهنم- الرصد

حسن الجندي

تصميم الغلاف: أسامة علام

تدقيق لغوي- تنسيق داخلي:

www.sekoon.com



رقم الإيداع: 2017/14682

الترقيم الدولي: 978-977-85316-8-8

الطبعة الأولى: 2018

حسن الجندي

ليلة في جهنم

الرصد

رواية



تعلمت أنه في هذا العالم، لا شيء يبدو كما تراه

الفصل الخامس

البداية

«1963»

مصر - جبل حمزة

داخل منشأة رقم ب 6 التابعة لبرنامج الصواريخ المصري جلس ثلاثة من المهندسين الألمان يرافقهم مهندس مصري داخل أحد المكاتب بالطابق الثاني، المهندسين الألمان يقفون جميعًا إلى منضدة صغيرة وُضعت عليها بضع رسوم هندسية لغرفة تبريد داخل صاروخ، وأحدهم يكتب بضع معادلات على هامش الرسوم والاثنان الباقيان ينتظرانه بشغف.

أما المهندس المصري فجلس وراء أحد المكاتب يقرأ تقريرَ مراجعة كُتِبَ بالألمانية لغرفة الاحتراق الأولى في الصاروخ، ويكتب بضعة ملاحظات على مفكرة صغيرة بجانبه.

- سلامه عليكم.

قالها رجلٌ في الخمسين من عمره وهو يدخل بصحبة شاب من باب المكتب، فنظر له اثنان من الألمان وقالوا بلغة عربية مضحكة:

- وعليكم السلام..

نظر المهندس المصري للشاب وهو يردُّ التحية بابتسامة مرَّجة، فقال الرجل:

- أعرَّفكم بدكتور/ جابر، الي كلكم مستنينه، هاسييه معاكم دلوقت وأرجع لكم في ساعة الغدا.

ثم نظر للشاب وهو يقول بؤد:

- أهلاً ببيك معنا، هاسيبك تتعرف عليهم بس خلي بالك إن الألمان هنا مايعرفوش غير كلمة سلامه عليكم وعليكم السلام، نتقابل على ساعة الراحة.

غادر الرجل فسار (جابر) بخطوات واثقة لداخل المكتب، والمهندس المصري ينهض من خلف مكتبه ويمد يده لمصافحة (جابر) معرِّفاً نفسه:

- معاك المهندس (حلمي فضل الله)، شرفتنا.

جلس (حلمي) خلف مكتبه مرة أخرى بينما جلس (جابر) على مقعد أمام المكتب، قال (حلمي) وهو يشير للألمان:

- بعد ما يخلصوا اللي بيعملوه هاعرفك عليهم، معلىش إنت عارف إننا مشغولين علشان اختبار الإطلاق بتاع بعد بكرة.

- عارف، كمل اللي بتعمله دلوقت وبتكلم بعد ما تخلص.

- لا عادي أنا يعتبر خلصت خلاص.. بس ممكن أسألك سؤال؟

- اتفضل.

- هو حضرتك دكتور في أنهي فرع في الهندسة؟

- في الفيزياء النظرية.

رفع (حلمي) حاجبيه دهشة فضحك (جابر) وقال:

- معلىش أنا حاسس ببيك، تلاقىك بتقول إيه اللي بيعمله معنا هنا.

- في الحقيقة أه.. هما قالولنا إن فيه مشرف مصري هايجيبي يتابع شغلنا قبل اختبار الإطلاق، لكن شكلك صغير في السن وما شاء الله بتقول معاك دكتوراة في الفيزياء النظرية اللي أنا ما أعرفش كثير عنها أساساً، هو حضرتك علاقتك إيه بالصواريخ.

- زي ما قالولك، أنا مشرف، بتابع مش أكثر، صعب أتدخل في شغلكم،

يهمني أراجع عملية الإطلاق للصاروخ (القاهر) وأحدد ها يغلط بنسبة
كام متر في إصابة هدفه.

- و حضرتك واثق ليه إن الصاروخ ها يغلط في الإصابة؟

- كل اللي شغالين في برنامج الصواريخ يا باشمهندس عارفين إن مفيش
أجهزة توجيه للصواريخ وهي طيارة، يعني كأنك بترمي طوبة بالظبط.

- أنا آسف بس حضرتك محبط جداً.

- بالعكس، لازم أكون موضوعي علشان أنقل كل اللي هاشوفه للجهة
اللي كلفتني بالإشراف على التجربة.

- وهو مين اللي كلفك؟

- مكتب الرئاسة.

ابتلع (حلمي) ريقه ونظر إلى الأوراق الملقاة على مكتبه شاردًا ثم
نظر إلى (جابر) ثانية، وقال بصوت خافض:

- بتتعد مع الرئيس بنفسك؟

ابتسم (جابر) وأمال جسده ناحية (حلمي) وهو يقول بصوت خافض
هو الآخر:

- إنت موطني صوتك ليه؟

وكان أحدهم أمسك بحلمي وهو يرتكب جريمة، انتفض في مكتبه
وقال بصوت عالٍ جعل العلماء الألمان ينظرون له بدهشة:

- على فكرة أنا قابلت الرئيس قبل كده وسلّمت عليه.. وقالي شدوا
حيلكم يا ولاد.

- طب إهدا بس يا باشمهندس، أنا بهزر معاك، على العموم أنا
قابلت الرئيس كام مرة لكن أنا بأبلغ النتائج لمكتب الرئاسة مش الرئيس
بنفسه.

قال (جابر) عبارته السابقة وهو ينظر بودُّ شديدٍ لحلمي الذي كان
يبتلع ريقه كل بضعة ثوانٍ بدون سبب، بينما أشار (جابر) لمكتب (حلمي)
وهو يقول:

- كَمَلْ شغلك وأنا هاستناك.

عاد الهدوء تدريجيًّا لوجه (حلمي) الذي أخرج من جيب سرواله
علبة سجاثره وقداحة وناول (جابر) سيجارة محاولًا الابتسام فالتقطها
هذا الأخير وهو يضعها في فمه ويقول:

- دي سيجارة (كينت).. مابتشربش ليه (نفرتيتي) أو (فلوريدا) وتشجّع
الصناعة المحلية؟

توقف (حلمي) عن إشعال سيجارته وظهر على وجهه أنه يفكر.

- إيه يا باشمهندس هو أنا كل ما أهزر معاك تاخدها بجد.. دا الرئيس
(جمال) يشرب (كينت) برضو.

حاول (حلمي) الضحك لكنه فشل فخرجت الضحكة بصعوبة، طرّق
الباب في نفس اللحظة شاب في العشرينيات يرتدي قميصًا وسروالًا باللون
البنّي ويحمل بيده صندوقًا من الخشب وهو يقول:

- الطرد ده وصل للدكتور (فالترا) إمبراح.

رفع أحد العلماء الألمان يده وهو يقول بالعربية:

- أيواااااا.

على الأرجح الألماني لم يفهم من العبارة سوى اسمه، دخل الشاب
وأعطاه الصندوق، بينما وجّه (حلمي) كلامه للشاب قائلاً:
- هاتلي قهوة زيادة يا (إمام) وشوف الدكتور (جابر) يشرب إيه.
نظر (جابر) لإمام الواقف عند الباب مندهشًا وقال:

- إنت اشتغلت هنا يا (إمام)؟

ملأت الابتسامة وجه (إمام) وهو يدخل خطوات لداخل الغرفة حتى وصل لجابر الذي وقف له وصافحه:

- ده من فضلة خيرك يا دكتور (جابر).

قالها (إمام) وهو يكمل مصافحة يد (جابر) بحماسٍ زائدٍ، نهض (حلمي) من مقعده وقال ببطءٍ:

- إنتوا تعرفوا بعض؟

- دكتور (جابر) الله يستره اتوسطلي علشان أشتغل في مصنع «صقر» بعد ما خلصت خدمة الجيش.

قال (جابر) والدهشة لم تفارق قسما وجهه:

- بس انت جيت هنا إزاي؟

- نقلوني مرتين لمصنعين تانيين، وفي الآخر جابوني هنا من 4 شهور بس، والحمد لله مستريح أوي.

نظر (جابر) لل صندوق الذي كان يفتحه (فالترا) وقال لإمام:

- الطرد ده راجعته اللجنة الفنية للمصنع؟

- أكيد يا دكتور ولأ ما كنتش استلمته علشان أجيبه.

فتح (فالترا) الصندوق وأخرج منه صندوقًا أصغر من ورق الكرتون المقوى مكتوبًا عليه بالألمانية، رفعه لأعلى وهو ينظر له ويقول عبارة بالألمانية، فنظر (جابر) لحلمي قائلاً:

- هو بيقول إيه؟

نظر حلمي لفالترا وبادله بضع جمل بالألمانية ثم نظر لجابر قائلاً:

- بيقول وزن العبوة ثقيل عن إنه يشيل الكاتلوجات اللي هو طلبها من (هامبورج).

صرخ (جابر) وهو يشير لل صندوق:

- قوله ما يفتحش العلبة.

وكان (فالترا) فهم عبارة (جابر) فوضع العلبة على طاولة بجانبه، ونظر لحلمي مستفسراً، لم ينتظر (جابر) وهو يصرخ في (إمام) قائلاً:
- خد الطرد بسرعة واطلع بيه أمن المبني وقولهم فيه شك إن الطرد
مفخخ .

تبادل (حلمي) بضع كلمات مع (فالترا) ثم نظر لجابر وقال:

- دا بيقول إن هو الي طلب الكاتلوجات دي من الجامعة الي كان
بيدرس فيها، وإنهم ممكن يكونوا بعثوا أكثر من كتالوج.

تراجع بقية العلماء الألمان للوراء خوفاً من كلمات (جابر) التي نقلها
(حلمي) للألمانية، ماعدا (فالترا) الذي ظلّ يلوح بيديه ناحية (جابر) وهو
يصرخ بالألمانية، بينما نظر (جابر) إلى (إمام) وصرخ فيه بأن يأخذ الطرد
من (فالترا).

جرى (إمام) ناحية الصندوق في نفس اللحظة التي فتح فيها (فالترا)
الصندوق لتظهر داخله بضعة كتب رصت بجانب بعضها البعض، تناول
(فالترا) أحدهم ورفعته في وجه (جابر) وهو ما زال يصرخ بالألمانية، تنفس
الجميع الصعداء ما عدا (جابر) الذي صرخ بإمام أن يتعد لكن (إمام)
كان قد وصل للصندوق ورفعته من موضعه.

هنا دوى انفجار داخل الغرفة.

مستشفى المعادي العسكري

فتح (حلمي) عينيه بصعوبة وهو يشتم رائحة المطهرات، حاول النهوض ففشل، تنحج وحرك يده وعينيه ليستكشف ما حوله، هو راقد على فراش بغرفة مستشفى وما زال ملبسه التي تقطعت في بعض الأماكن، يده اليسرى ربطت بضمادات بداية من كتفه حتى رسغه، وعلى رأسه ضمادة بسيطة تحت عينيه اليسرى، تذكر الانفجار في المكتب واصطدامه بالحائط لكنه فشل في تذكر التفاصيل.

- حمد الله على السلامة يا باشمهندس.

أقى الصوت من على يمينه فحرك رأسه بصعوبة حتى رأى (جابر) يجلس على فراش آخر عاري الجذع والضمادات الطبية تملأ صدره وبطنه ويديه.. العجيب أنه كان ينظر أمامه بشروء وهو يكمل كلامه ويقول:
- (فالترا) عينه الشمال راحت وجاتله حروق كثيرة في جسمه، والاتنين مهندسين التانيين كويسيين وعندهم حروق بسيطة زينا.

تنفس (حلمي) بعمق وهو يقول:

- الحمد لله.

- و(إمام) مات.

قالها (جابر) بنفس الصوت الهادئ الخالي من التعبيرات، تنحج (حلمي) ولم يجد ما يضيفه بينما أكمل (جابر):
- جسمه أخذ معظم شظايا الانفجار علشان كده ماوصلناش إلا التضاضط وشوية بارود سخن.. مات في لحظتها.
- الله يرحمه.